زياد عبد الفتاح

يا الهي.. لقد كانت حربا!

كانت عقارب الساعة تقترب من الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، حين لاحظ المقاتل المكلف بالمراقبة في قلعة شقيف ارنون، اشباحا تتحرك في المدى.

جال مقاتل الدورية ببصره، في كل الاتجاهات، على امتداد الدائرة المحيطة، عبر منظاره الليلي، فتأكدت ملاحظته. في لحظة، قلّب الامر على كافة وجوهه، فراوده الشك. ثبّت منظاره في محيط الدائرة وامتداد الافق من جديد. هل يمكن ان يكون الهجوم بهذا الحجم، وما هو الهدف؟ ثم هل هو في اتجاه كل المواقع،وضد كل المواقع، وعلى مختلف الاتجاهات؟! ان الامر يبدو كذلك، بل ان حجم القوات العسكرية الاسرائيلية المهاجمة لا يترك المجال لاحتمالات اخرى. فهناك الدبابات والآليات والعربات الصغيرة، والحوامات التي تحط على البعد وتقذف من جوفها مئات الجنود المدججين بالسلاح. ان هذا كله لا يمكن ان يكون هجوما محدودا، انه هجوم شامل. وبقيت تنقصه الاجابة على السؤال الذي ظل معلقا في ذاكرته، وهو لماذا لم يسمع اي نداء من اي موقع حول الهجوم! ولم يعقد لسانه العجب سوى لحظات قليلة، وصرخ فجأة، بأعلى صوته مناديا قائد موقع القلعة الذي اعلن، في ثوان قليلة، حالة الاستنفار الكامل وزوّد مقاتل الاشارة بالتعليمات اللازمة، وراح هذا، بدوره، يبث نداء بالانتباه الى كافة المواقع القريبة، ونداء آخر الى القيادة العامة يشرح فيها الوضع ويطلب التعليمات؛ لكن سرعان ما ضاع صوت مقاتل الاشارة، بين اصوات القذائف المرسلة من بطاريات العدو الثقيلة المنصوبة داخل الارض المحتلة، وبين اصوات القذائف المضادة من اسلحة المقاتلين في القوات المشتركة، وبينها اصوات طلقات الرشاشات وانفجارات القنابل اليدوية، وقذائف «الآر.بي.جي» التي انطلقت بهمة في كل المواقع، من قلعة شقيف ارنون حتى بلدة ارنون فكفر تبنيت فحرش الشيخ طاهر، تواجه هجوم العدو بقوة وزخم نادرين.

عندما ارسل قائد الموقع في قلعة شقيف ارنون برقيته الاولى الى غرفة عمليات